المحاضرة الثانية :

من مقرر التذوق الأدبي

المؤثرات العامة والخاصة في الذوق الأدبي

عناصر التذوق الأدبي .

مصادر التذوق الأدبي .

أقسام الذوق .

أهداف المحاضرة :

أن يطلع الطلبة على المؤثرات العامة والخاصة في الذوق الأدبي ، ليدركوا الفرق بين الأذواق .

أن يتعرف الطلبة إلى عناصر التذوق الأدبي .

أن يستطيع الطلبة تحديد مصادر التذوق الأدبي .

أن يقف الطلبة على أقسام الذوق.

عناصر الذوق الأدبي

لو تساءلنا : ما هي عناصر الذوق الأدبي؟

هل تتفق الأذواق ؟

هل لمكونات الذوق الفردي علاقة بالأحكام النقدية التي يطلقها الفرد؟

للإجابة عن هذه الأسئلة لابد أن نحدد أولا عناصر الذوق الأدبي .

فالذوق الأدبي مزيج من العاطفة ، والعقل ، والحس ، ولعل العاطفة أهم عناصره.

وعناصره هذه هي أحد أسباب اختلاف الذوق من شخص لآخر.

ولاختلاف الذوق تجليات في الأحكام النقدية الصادرة من النقاد ؛ فمن غلب عليه العاطفة فتن بشعراء النسيب ، ومن غلب عليه عنصر الفكر ، آثر شعراء المعاني كأبي تمام والمتنبي والمعري، ومن غلب عليه الحس فضل أسلوب أمثال البحتري.

مصادر التذوق الأدبي :

الذوق الأدبي ملكة وهبة طبيعية ، وتعني الاستعداد الفطري لتذوق الأدب والفنون الأخرى .

والذوق (الموهبة) تحتاج إلى التهذيب والدرس ويتم ذلك بالقراءة والتمرس بالأساليب الأدبية ، فيتكون لدى الموهوب ذوق مثقف قادر على إصدار الأحكام النقدية ، وتلمس الجمال في النصوص الأدبية .

دراسات جمالية في الشعر :

قال الشاعر:

تمنانا ليلقانا بقوم تخالُ بياض لأمِهِمُ السرابا

فقد لا قيتنا فرأيت حربا عَوانا تمنع الشيخَ الشرابا

فصاحب الذوق المثقف ، يعرف مواطن الجمال ، ويتحسسه أنى وجد ، وقد تبدى الجمال من ناحية في الفاء ، والجمال فيها متأت من كونها صلة بين أمل العدو الخائب وشماتة عدوه الظافر ، وهي كذلك رمز المفاجئة الخطيرة ، والوجه المنتصر يلقى الوجه المغلوب .

وكذلك الفاء في قول الشاعر :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

والتقديم والتأخير في قول الشاعر:

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

أقسام الذوق :

1- الذوق السليم والذوق القيم .

الذوق السليم : هو الذوق الحسن الصحيح الذي هذِّب وصقل ، وغدا قادرا على إطلاق الأحكام ، وتمييز جيد الأدب من رديئة .

الذوق السقيم : هو الذوق الفاسد غير القادر على إطلاق الأحكام النقدية ..

2- الذوق الإيجابي والذوق السلبي .

أ- الذوق الإيجابي : هو الذوق الذي يدرك الجمال ، ويميز جيد الأدب من رديئة ، ويعلل لهذا الإدراك.

ب- الذوق السلبي : هو الذوق الذي يدرك الجمال ولكنه يعجز عن تفسير ما يدرك أو تعليله.

ولكن هذا لا يعني أن الجمال يمكن أن يعلل دائما ، فقد نعجب بقصيدة ما ولكننا نقف عاجزين عن تعليل جمالها .

3- الذوق العام ، والذوق الخاص ، والذوق الأعم:

أ - الذوق الخاص : الذي يختلف من فرد لآخر .

ب - الذوق العام الذي يشترك فيه مجموعة من الأفراد نتيجة خضوعهم لظروف واحدة .

ج - الذوق الأعم الذي يشترك فيه الناس جميعا بحكم طبيعتهم الإنسانية التي تتذوق الجمال ومثاله إجماع الذوق العربي على حب المتنبي ، وإجماع الغرب على تفضيل شكسبير.

4- الذوق العادي والذوق المتمرس :

الذوق العادي : وهو الذوق الفطري والملكة التي يحكم من خلالها على النص بسذاجة من دون تعليل .

الذوق المتمرس : وهو الذوق المثقف ، الذي صقل بطول المدارسة ، وتأتي أحكامه معللة دقيقة .

العوامل المؤثرة في اختلاف الذوق :

ليس الذوق الأدبي ثابتا ، بل يخضع لمؤثرات تفعل فعلها فيه ، فيتغير ويتطور ، من هذه العوامل :

البيئة : ونعني بها الخواص الطبيعية والاجتماعية التي تميز مكانا ما ، وتؤثر في أفرادها، ومن هنا اختلفت أذواق أهل البادية عن أذواق أهل الحاضرة ، كما تختلف أذواق أبناء الطبقات المختلفة .

لذلك نجد أهل البادية قديما يفضلون زهيرا وذا الرمة ؛ لأن شعرهما بدويا لفظا ومعنى ، وفضل أهل الكوفة الأعشى لأنهم أهل لهو.

وقصة علي بن الجهم معروفة مع المتوكل ، وهي تبين تطور الذوق مع تطور الحياة .

فتطور ذوقه من قوله يمدح المتوكل :

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

إلى قوله :

عيون المها بين الرُّصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الزمان : فالذوق يتأثر بتطور الزمن وما يستجد فيه من مهيئات الحياة ، فذوق ابن العصر الجاهلي غيره لدى ابن هذا العصر.

لذلك نجد حركة التطور في الشعر تحاكي تطور العهد ، ومن هنا كانت حركة الشعر المحدث ، ورفض الوقوف على الأطلال .

لقد ظهر هذا واضحا في شعر أبي نواس الذي استبدل الخمرة بوصفها مكونا حضاريا بالأطلال :

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ونشأ أدب وليد طافح بالمحسنات البديعية ، يحاكي ترف الحياة ، ويعبر عن تطور العقل ، وبدا هذا واضحا في شعر أبي تمام الذي ساير تطور العقل وتعقده :

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت

والشمس واجبة من ذا ولم تجب

الجنس : نعني به الجماعة التي سكنت مكانا واحدا ، وخضعت في حياتها لعوامله عهودا طويلة ، فنشأت فيهم طائفة من العادات والتقاليد والأخلاق وطرق الفهم والإدراك يخالفون فيه سواهم ممن أنجبتهم بيئة أخرى مغايرة .

وعلى سبيل نجد البهاء زهير بظهور متأثرا بالذوق المصري في شعره.

التربية ونعني بها آثار الأسرة والتعليم والتنشئة التي تؤثر في الذوق .

ومثالنا على ذلك ابن الرومي وابن المعتز . فقد سئل ابن الرومي : لماذا لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه؟

كما في قوله :

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

فصاح : واغوثاه يا لله ! لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون بيته ؛ لأنه ابن خلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟

أنا أقول :

ما أنس لا أنس خبازا مررت به

يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها في كفه كرة

وبين رؤيتها زهراء كالقمر

إلا بمقدار ما تنداح دائرة

في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

المزاج الخاص : فالمزاج هو الشخصية الفطرية الطبيعية التي تختلف من شخص لآخر.

ومثاله ابن الرومي الذي كان سوداوي المزاج متشائما كما في قوله:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها

يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها

لأفسح مما كان فيه وأرغدُ

إذا أبصر الدنيا استهل كأنه

بما سوف يلقى من أذاها يهدد

فقد خلع على الدنيا مزاجه الحزين المتشائم ، حتى إنه لايرى

وتصوَّر أن الطفل يبكي ساعة ولادته من معرفته بكوارث الحياة.

ونرى بالمقابل البحتري يخلع على الربيع بهجة من نفسه ، فتشيع فيه الحياة والجمال :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز في غلس الدجى

أوائل ورد كن بالأمس نوما

المؤثرات السالبة على نتائج التذوق الأدبي :

1- عدم التهيؤ النفسي الصحيح .

2- تغليب الحس النقدي.

3- عدم الصبر والتعجل في الوصول إلى النتائج التذوقية .

4- الإلحاح في طلب الوصول إلى نتائج من غير ترو.

5- انعدام الثقافة .

6- تغليب النظرة الفكرية على الحس الوجداني الفعال.

التقليل من تأثير هذه العوائق :

1- تقوية الاستعداد الفطري بالقراءة والاطلاع.

2- تعهد ملكة التذوق بالتدرب والممارسة المستمرة.

3- التعود على تأمل العمال الأدبية .

4- التدرب على نصوص جيدة.

5- الإحاطة بجوانب النص الأدبي.

6- الاطلاع على الآداب العالمية .

أهمية التذوق الأدبي :

التذوق الأدبي يمهد للعملية النقدية لدى المتلقي ، ويشذب العمل لدى المبدع .

فوائد التذوق الأدبي السليم :

1- تقدير الأعمال الأدبية والفنية .

2- الاستمتاع بالخصائص الجمالية للأعمال الفنية .

3- محاكاة ذلك الجمال في الأعمال الأدبية والفكرية .